الباب الخامس

العلماء المشهورون وآراؤهم القيّمة في ميدان التعلّم والتربية

الباب الخامس

العلماء المشهورون وآراؤهم القيّمة في ميدان التعلّم والتربية

ومن المعترف لدى الجميع، لقد اهتمّ جميع الأمم عبر عصور التاريخ بموضوع التعلّم والتربية، وأساليبه ونظريّاته وطرائقه، وأسهم فيه كثير من العلماء المسلمين والفلاسفة والمفكرين والباحثين وغيرهم منذ أفلاطون وغيره من العباقرة، ولا زال هذا ميدان اهتمام المفكرين والمثقفين حتى يومنا هذا في وضع النظريات التي ما زالت تتطوروقتا بعد وقت.

ومن أعظم وأوثق وأشمل الدراسات التي أرست أسسًا هامّة، ووضعت مناهج صالحة خالدة على مرِّ السنين هي التربية الإسلامية التي -لا شكّ- أسهم العلماء المسلمون فيها إسهامًا كبيرًا. ولا نبالغ إذا قلنا إنّ هناك كثيرا من العلماء المسلمين العباقرة أبدوا آراءهم القيّمة في هذا الميدان الفسيح، وقدّموا للإنسانيّة خدمات عملاقة ومواهب جسيمة في حقل التربية والتعليم لا يمحوها كرّ الأزمان ولا مرّ الدهور ولا ينساها أبناء العرب ولا أحفاد العجم، فمن الصعب إيراد جميعهم وتفصيل خدماتهم الجسيمة في هذا الباب، فمن أبرز هؤلاء الأعلام الذين قدّموا خدمات نفيسة ولهم فضل السبق في التأليف في النظام التربوي الإسلامي هاهو ذا نذكربعضا منهم على سبيل المثال لا الحصر:

١) ـ ابن سحنون (و٢٠٢هـ/ ت ٢٥٦هـ) محمد بن سحنون بن سعيد التنوخي.

٢) ـ القابسي (و٣٢٤هـ/ت٤٠٣هـ) أبو الحسن علي بن محمد المعافري.

٣) ـ ابن سينا (و ٣٧٠هـ/ ت٤٢٧هـ) الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا.

٤) ـ الغزالي (و٤٥٠هـ/ ت٥٠٥هـ) الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي الفيلسوف المتصوف.

٥) ـ ابن جماعة (و٦٣٩هـ/ ت٧٣٣هـ) هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الشافعي.

٦) ـ ابن خلدون (و٧٣٢هـ/ ت٨٠٨هـ) القاضي عبدالرحمن بن خلدون صاحب المقدمة الشهيرة ومؤسس علم الاجتماع الحديث.

وقفة مع ابن سحنون:

هو أبو عبد الله محمّد بن سحنون، ولد بالقيروان سنة ٢٠٢هـ ونشأ في كنف أبيه: فقيه المغرب وإفريقيا "عبد السلام سحنون التنوخي"،الذي اعتنى بتربيته وتأديبه وتعليمه، فكان الوالد شديد التعلق بقرة عينه محمد، يخاف ألا يطول به العمر، فلا يراه في مراتب العلم السامية، وكان يقول: "ما غبنت في ابني محمد إلا أني أخاف أن يكون قصير العمر"، وقد أنعم الله على الإمام فعاش حتى رأى ابنه يكاد يختم العقد الرابع من عمره ويتبوأ مكانة مرموقة بين علماء عصره. وكان سحنون يجتهد في تربية ابنه محمد على الأخلاق الحميدة، ومن ذلك أنه كان يقول له: "يا بني: سلم على الناس، فإن ذلك يزرع المودة، وسلم على عدوّك وداره، فإن رأس الإيمان بالله المداراة بالناس". وكان يتفرس فيه أن يكون له شأن في مجال العلم، وأن يبلغ فيه درجة الإمامة، كما كان يلحظ ما امتاز به منذ طفولته من ذكاء ونباهة وإحساس مرهف. فأخذ حظه من القرآن الكريم والعلوم الضرورية، وتحوّل إلى مجالس الدروس على يد ثلّة من الشيوخ الإفريقية فحمل عنهم مروياتهم وأتقنها، ورحل إلى الأمصار وتعلم عدة علوم، وعاد إلى الإفريقية مزودا بتجربة وعلم غزير ليشعّ على المغرب وإفريقيا. وقد اشتغل بالتعليم بالقيروان وألّف رسالة سمّاها: آداب المعلمين وهي على صغر حجمها رسالة قيّمة ونفيسة، بما تضمّنه من آراء تربوية تعبّر بوضوح عن أن الأمة الإسلامية اعتنت بقضايا التعلّم والتعليم.

رحلته لطلب العلم

رحل محمد بن سحنون إلى المشرق سنة (٢٣٥هـ)، وهو في الثالثة والثلاثين من عمره، لأداء فريضة الحج ولأخذ العلم عن أعلام المراكز الشرقية، وهو يقتفي أثر أبيه الذي رحل، ثم عاد بعلم جم وبالمدونة الكبرى التي أخذها عن الإمام عبد الرحمن بن القاسم في مصر، وبها انتشر المذهب المالكي في المغرب والأندلس وكانت عمدة المالكية في دراسة مذهبهم ومعرفة أحكامهم. .

انتصابه للتدريس:

بعد اكتمال الملكة العلمية لمحمد بن سحنون، وظهور بوادر نبوغه، انتصب للتدريس في القيروان أثناء حياة والده، قال المالكي: "كانت له حلقة غير حلقة أبيه". وكان لابن سحنون مسجد بالقيروان منسوب إليه يعقد فيه حلقات الدرس، وتواصلت عنايته بالتدريس بعد وفاة والده الإمام، فقد قال ابن حارث: "جلس مجلس أبيه بعد موته".

وفاته رحمه الله :

وقد توفّي ابن سحنون رحمه الله سنة ٢٥٦هـ مخلّفا وراءه تراثا كبيرا في مختلف الفنون، وقد ألّف كتبا كثيرة تزيد عن عشرين مصنفا في مختلف العلوم، إلا أن شهرته بالنسبة لدراسة التربية الإسلامية ترتبط بكتابه المعروف "آداب المعلمين" تقبّل الله خدماته للدين.

ومن أهمّ تأليفه:

١- آداب المعلّمين.

٢- آداب المناظرين.

٣- الجامع في فنون العلم والفقه.

٤- الرسالة الجنوبية.

٥- السير.

٦- التاريخ

٧- أجوبة ابن سحنون.

بعض تصوّراته في ميدان التعلّم والتربية:

١-البدء بتعلّم القرآن الكريم:

اعتبر ابن سحنون أن القرآن الكريم هو منبع العلوم وأساسها، لذا رأى أن يُبدأ التعلّم بالقرآن الكريم، وقد أوضح ذلك مستندا على الأحاديث النبوية الشريفة، والآثار المعتمدة، من مثل ما روي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن رسول ﷺ قال: أفضلكم من تعلّم القرآن وعلّمه، وفي رواية أخرى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله عليه وسلم أنه قال: خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه، وضمن كتابه أحاديث كثيرة، كما روى أثرا عن سفيان الثوري عن العلاء بن السائب قال، قال ابن مسعود رضي الله عنه:....لا بدّ للناس من معلم يعلم أولادهم، ويأخذ على ذلك أجرا، ولو لا ذلك لكان الناس أمّيين، وما روي عن عطاء: أنه كان يعلّم الكتاب على عهد معاوية ويشترط.

بيّن ابن سحنون آراءه في أمور كثيرة تتعلق بتعلم القرآن وتعليمه، كأخذ الأجرة على تعليمه، وما يتعلق بالختمة، ومن يستحق الأجر من المعلّمين إذا تعلّم التلاميذ على أكثر من المعلّم إلا أنّ ما يلاحظ على ابن سحنون أنّه لم يبيّن بتفصيل كيفية تعلم القرآن الكريم، ولا سن المتعلّم. ويبدو من نظرية ابن سحنون هذه، التي تجعل القرآن الكريم أول ما يتعلمه المتعلّم، توافق ما كان منتشرا في زمانه، خاصة في المغرب، حيث يتمّ تعليم القرآن الكريم قبل شيء، وهذا فيه دليل واضح على أنّ النظام التربوي الإسلامي ينطلق من الواقع ويعود إليه، فلم يؤلف ابن سحنون رسالته إلا بعد أن درس ومارس مهنة التعليم، ففي هذا ردّ على أن المسلمين لم يهتمّوا بقضايا التعلم والتعليم. ولا ننسى أن الكتاتيب القرآنية وجدت منذ فجر الإسلام، وهي أماكن يجتمع فيها الصبيان لحفظ القرآن الكريم وتدارسه. وسئل

ابن سحنون عن تعليم الصبيان في المسجد فقال: لا أرى ذلك يجوز لأنّهم لا يتحفّظون من النجاسة، ولم ينصب المسجد للتعليم، فهذا يدل على أن القرآن الكريم كان أول من يتعلّمه متعلّم، وذلك في الكتاتيب القرآنية التي كانت منتشرة وما تزال في الأمة الإسلامية إلى يومنا هذا.

٢- تعليم الأولاد جميع العلوم التي يلزم تعلّمها:

لم يذكر ابن سحنون بابا خاصا لطريقة التعليم، أو المواد التي يلزم تعليمها، ولكن يمكن استشفاف ذلك من مؤلفه، حيث يبيّن ابن سحنون في ثنايا رسالته أن على المعلّم أن يعلم الصبية المواد الآتية:

الفقه: قال ابن سحنون فيما يرويه عن أبيه: ويلزم المعلّم أن يعلّمهم الوضوء والصلاة، لأن ذلك دينهم، وعدد ركوعها وسجودها، والقراءة فيها والتكبير، وكيف الجلوس والإحرام والسلام، وما يلزمهم في الصلاة، وتعليم الدعاء ليرغبوا إلى الله ويعرفوا عظمته وجلالته، حتى يكبروا على ذلك، ثمّ تحدّث عما ينبغي تعلمه من سنن الصلاة وأمور الدّين عامة من الفرائض، والنحو، والشّعر، والخطابة، وتحسين الخط، والرسائل، وذلك بأن يأذن للمتعلّمين بكتابتها وقراءتها أو بالذهاب إلى المهَرة في تلك الفنون. ثمّ يعلّمهم الحساب، يقول في هذا الأمر: وينبغي أن يعلّمهم الحساب، وليس ذلك بلازم له، إلا أن يشترط ذلك عليه، وكذلك الشعر، والغريب، والعربية، والخط وجميع النحو، وينبغي أن يعلّمهم إعراب القرآن، وذلك لازم له، وكذا القراءة الحسنة، والتوقيف، والترتيل، وما يلزم ذلك، ولا بأس أن يعلّمهم الشعر مما لا يكون فيه فحش من كلام العرب وأخبارها، وليس ذلك بواجب عليه.

وتحدّث عن تعليم الخطابة فقال: ولا بأس أن يعلّمهم الخطب إن أرادوا، وتحدّث أيضا عن تعليم الألحان، أو ما نسمّيه الآن: المقامات الصوتية فقال: ولا أرى أن

يعلّمهم التحبير، لأنّ ذلك داعية إلى الغناء، وهو مكروه، وأن ينهي عن ذلك بأشد النهي.

واشترط ابن سحنون في تعلّم هذه العلوم ألا ينتقل المعلّم من الدرس إلى آخر، إلا بعد أن يحفظه المتعلّمون، ويقوم المعلّم باختبارهم ليعرف هل سينتقل إلى درس آخر أم لا؟ قال ابن سحنون: ولا بأس أن يجعلهم يملي بعضهم على بعض، لأن ذلك منفعة لهم، وليتفقّد إملاءهم، ولا يجوز أن ينقلهم من سورة إلى سورة حتى يحفظوها بإعرابها وكتابتها. وهنا يظهر الحديث عن شرط من شروط التعلم الذي يزعم الغربيون أنه من حسناتهم، ويقصد به:عامل التدرج، وهو واضح في منطوق النص قبل مفهومه. يحسن الحديث في هذا المحور عن جملة من الضوابط التي تحكم علاقة المعلّم بالمتعلّم، ومنها:

١ـ الثواب والعقاب:

رأى ابن سحنون للمعلم صلاحية ضرب تلاميذه على منافعهم، وألا يتجاوز ثلاثا، إلا بإذن الولي في أكثر من ذلك، ولا يجوز له أن يضرب رأس الصبي ولا وجهه، متبعا قول الرسول ﷺ أدب الصبي ثلاث درر فما زاد عليه قوصص به يوم القيامة، وأدب المسلم في غير الحد عشر إلى خمس عشرة، فما زاد عنه إلى العشرين يضرب يوم القيامة.

وأورد ابن سحنون حديثا عن النبي ﷺ قال فيه لأن يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدّق بصاع إلا أن ابن سحنون- إلى جانب هذا- جعل مبدأ الرفق منطلقا أساسيا من منطلقات التربية والتعليم على الخصوص، ونهجا ثابتا في علاقة المسلم بالوجود عامة، وفي هذا الصدد يورد ابن سحنون ما روي عن بعض أهل العلم كسعيد بن مسيّب أنّه قال "إنّ الأدب على قدر الذنب، وربّما جاوز الأدب الحدّ. "وبيّن ابن سحنون أيضا أن على المعلّم أن يؤدّب المتعلّمين إذا آذى بعضهم بعضا،

ويردّ ما أخذ بعضهم لبعض، وليس من ناحية القضاء" ونبّه على أنّ الضرب لا يكون في حالة الغضب.

٢- التفرّغ لأداء مهمّة التعليم:

يؤكّد ابن سنون على ضرورة التزام المعلّم بأداء مهمّته على أحسن وجه، وفي هذا يقول"ولا يحلّ للمعلّم أن يشتغل عن الصبيان، إلّا أن يكون في وقت لا يعرضهم فيه" ثمّ قال: "واليلزم المعلّم الاجتهاد، وليتفرغ لهم، ولا يجوز له الصلاة على الجنائز إلا فيما لا بدّ منه، ممن يلزمه النظر في أمره، لأنه أجير لا يدع عمله، ولا يتبع الجنائز، ولا عيادة المرضى". ومع ذلك أنّ ابن سحنون خصّص لذلك بابا سمّاه "ما يجب على المعلّم من لزوم الصبيان".

٣- تحديد أيّام العطلة:

أقرّ ابن سحنون عطلة عيد الفطر للصبيان يوما واحدا، ولا بأس أن تصل إلى ثلاثة أيّام، وأقرّ في عيد الأضحى ثلاثة أيّام، ولا بأس أن تصل إلى خمسة أيّام، إضافة إلى عطلة الأسبوع من عشيّة يوم الخميس إلى صباح يوم السبت.

٤- ما جاء في العدل بين المتعلمين:

في هذا الباب نجد ابن سحنون يركز على ضرورة التسوية بين المتعلمين، بين الفقراء والأغنياء، وأن يكونوا سواسية عند مُعلِّميهم، واستدل على هذا الأمر بما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "أيّما مؤدب ولِيَ ثلاثة صبية من هذه الأمة فلم يعلمهم بالسوية، فقيرهم مع غنيهم، وغنيهم مع فقيرهم، حشر يوم القيامة مع الخائنين"، وما روي عن الحسن أنه قال: "إذا قوطع المعلّم على الأجرة، فلم يعدل بينهم - أي بين الصِّبيان - كُتبَ من الظلمة".

وتحدّث عن إجارة تعليم الفقه والفرائض، والشِّعر والنحو، وبيَّن أن أحكام هذه الإجارة مثل إجارة معلِّم القرآن، وأشار إلى أن المعلّم يمكن أن يعمل بأجر معلوم

كل شهر أو كلّ سنة، وأن ذلك يُحدَّد مع وليّ أمر المتعلم في عقد الإجارة، ونبَّه على أمر مهمّ وهو: "الهدية للمُعلِّم"، فبيَّن أنه لا يحلّ للمعلم أن يكلّف الصبيان فوق أجرتِه شيئا من هدية، وغير ذلك. ولا يسألهم في ذلك، فإن أهدَوْا إليه على ذلك فهو حرام، إلا أن يُهدوا من غير مسألة، ولا ينبغي أن يُهدِّدَهم إن لم يُهدوا إليه، ويُخليهم إن أهدوا إليه، لأن التخلية داعية إلى الهدية، وهو أمرمكروه.

٥- إشراك الأسرة في تدبير شأن المتعلم:

ومن الجدير بالذكر هنا ما أشار إليه ابن سحنون، في حديثه عن عقاب المتعلِّم، وتأكيده على ضرورة إشراك الأسرة في تحديد عدد الضربات إن أراد الزيادة فوق ثلاثة، إذ قال في هذا الصدد: "ولا بأس أن يضربهم على منافعهم، ويؤدبهم على اللعب والبطالة، ولا يجاوز بالأدب ثلاثًا، إلا أن يأذن له الأب في أكثرَ من ذلك". وبهذا يكون ابن سحنون قد دعا إلى التعاون بين البيت والمدرسة لإنجاح التعليم، ويُبيّن هذا ما أورده في رسالته، حيث قال: "وعلى المعلّم أن يُخبر أولياءهم إن لم يَجيئوا، ولا يرسل بعضهم في طلب بعض إلا بإذن أوليائهم".

وقفة مع القابسي:

هو الإمام الحافظ الفقيه العلامة أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المَعَافِرِي المعروف بالقابسي، نسبة إلى قرية "قابس" بالقرب من القيروان، وقيل سمّي بالقابسي نسبة إلى عم له يشد عمامته بشد قابس فسمي بذلك. وهو فقيه ومتكلم وإمام في علم الحديث وفنونه وأسانيده، وكان من الصالحين المتقين الزاهدين الخائفين، ومؤلفا مجيدا ثقة صالحا، وكان أعمى لا يرى شيئا وهو مع ذلك من أصحّ الناس كتبا وأجودهم ضبطا وتقييدا، كان مولده في سنة أربع وعشرين وثلاث مائة بالقيروان، وذكر ابن خلكان مولده فقال "وكانت ولادة أبي الحسن المذكور في يوم الاثنين لستّ مضين من رجب سنة أربع وعشرين وثلثمائة"[١]

١) التربية في الإسلام للدكتور أحمد فؤاد الأهواني، دار المعارف.

شيوخه:

تتلمذ على كبار علماء عصره في شتى الفنون والعلوم من أمثال أبي العباس عبد الله بن أحمد الأبياني، وأبي محمد عبد الله بن مسرورالعسال، وأبي الحسن علي بن بدر بن هلال، وأبي القاسم زياد بن يونس اليحصبي، وأبي الحسن علي بن محمد بن مسرور الدباغ رحمهم الله ونفعنا الله بعلومهم في الدارين.

طلب العلم:

شدّ أبو الحسن القابسي الرحال إلى المشرق الإسلامي سنة اثنين وخمسين وثلاثمائة (٣٥٢هـ) وحج سنة ثلاثة وخمسين وثلاثمائة (٣٥٣هـ) ثم عاد إلى مصر فأقام بها يسمع الحديث بالإسكندرية من أبي الحسن علي بن جعفر التلبياني، وبعد أن تلقى العلم واتصل بكبار العلماء بالمشرق رجع إلى القيروان .

عبادته و ورعه :

كان رحمه الله شديد الخشية لله، يحي ليلة الجمعة فلا ينام فيها البتة وربما أحيا غيرها من الليالي، وأما شهر رمضان فكان يقوم ليله كله، يتهجد فيه بالقرآن مع قطع نهاره بالتلاوة والذكر والصلاة، وكان إذا مرّ بآية في تهجده ربما رددها باكيا إلى الصباح، وقد صلى ليلة من الليالي بختمة من أول الليلة إلى آخرها فلما جلس لإلقاء المسائل إلى الظهر عندما تفرق الناس قال لي: يا بني: اعمل لو علمت أن هذا الضعف يدركني عند كبري لاغتنمت أيام شبيبتي، وكان يصوم ويفطر إلا في رجب وشعبان فما رؤي فيهما مفطرا قط، وكان يصوم أيضا في شوال وذي القعدة وعشر ذي الحجة ولقد صام سنة كاملة وأراد التمادي في الصوم فضعف جسمه وضاق خلقه ولقد ختم القرآن الكريم بقصر أبي الجعد من الظهر إلى العصر ثم صار بعد ذلك لتفهمه.

قال عنه الإمام السيوطي رحمه: كان حافظا للحديث، بصيرا بالرجال، عارفا بالأصلين، رأسا في الفقه، ضريرا زاهدا ورعا. توفي رحمه الله سنة أربع وأربعمائة من هجرة سيّد المرسلين تاركا وراءه ذخيرة عظيمة من أنواع العلوم.

ومن أهمّ تأليفاته:

١- الممهد في الفقه وأحكام الديانة.

٢- ملخص الموطأ.

٣- كتاب الاعتقادات.

٤- كتاب الذكر والدعاء.

٥- الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين.

بعض تصوراته في ميدان التعلّم والتربية:

ا- الغرض من تعليم الصبيان هو معرفة الدين علما وعملا. وتعليم الدين لا يتيسر إلا بمعرفة المبادئ التي تكتسب بالتعليم كالقرآن والكتابة. ومن هنا اتصل التعليم عند القابسي بالدين اتصال الوسيلة بالغرض.

ب- نادى بإلزامية تعليم القرآن أخذا بالحديث النبوي "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"[٢] وساعده في ذلك تطوع الأمراء والأغنياء في زمانه بالإنفاق على الكتاتيب وإجراء الأموال عليها لتستمر في الحياة.

ج- وجوب التعليم للجميع (أولاد وبنات) لأن المؤمنين والمؤمنات مكلّفون جميعا بنص القرآن.

٢) رواه البخاري رحمه الله.

د- عدم الجمع بين البنين والبنات في فصل واحد "من صلاحهم ومن حسن النظر لهم لا يخلط بين الذكور والإناث". وهو بذلك متأثر بأستاذه سحنون الذي قال أكره للمعلّم أن يعلّم الجواري ويخلطهن مع الغلمان لأن ذلك فساد لهن".

هـ- التعطيل يوم الجمعة والأعياد: إن إجازة الأولاد يوم الجمعة أمر مستحب لأن ذلك سنة المعلمين منذ كانوا. أما بطالة الأولاد يوم الخميس فهذا بعيد. وكذلك بطالة الأعياد على العرف المشتهر المتواطأ عليه ثلاثة أيام في عيد الفطر وخمسة أيام في عيد الأضحى.

و- عقاب التلميذ: نهى القابسي عن الانتقام في العقاب، ولذا نهى المعلم عن ضرب الصبيان في حالة الغضب حتى لا يكون ضرب أولاد المسلمين لراحة نفسه.
والضرب على التعليم إنما هو عن كثرة الخطأ من الصبيان.

وقفة مع ابن سينا

هو الإمام الهمام أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا عالم وطبيب مسلم من بخارى، اشتهر بالطب والفلسفة واشتغل بهما، ولد في قرية أفشنة بالقرب من بخارى وهي في أوزبكستان في الوقت الحالي من أب من مدينة بلخ وهي في أفغانستان الآن وأمّ قروية، ولد سنة ٣٧٠ هـ ٩٨٠م، وتوفي في همدان وهي في إيران الآن سنة ٤٢٧ هـ (١٠٣٧م) وعرف باسم الشيخ الرئيس وسماه الغربيون بأمير الأطباء، وأبو الطب الحديث في العصور الوسطى، وقد ألّف ٢٠٠ كتابا في مواضيع متنوعة العديد منها يتركز في الفلسفة والطب، ويعتبر ابن سينا من أول من كتب عن الطب في العالم كله ولقد اتبع طريقة أبقراط وجالينوس، وأشهر أعماله كتاب "القانون في الطب" الذي ظل المرجع الرئيسي لسبعة قرون متوالية في علم الطب، وبقي كتابه "القانون في الطب" الأساس في تعليم هذا الفن حتى أواسط القرن السابع عشر في جامعات أوربا.

ويعتبر ابن سينا أول من وصف التهاب السحايا الأوَّلي وصفا صحيحا، ووصف أسباب اليرقان، ووصف أعراض حصى المثانة، وانتبه إلى أثر المعالجة النفسانية في الشفاء. وكان والده شخصية ذات منصب عال في دولة السامانيين وأرسله إلى مدرسة بخارى كي يدرس هناك، وذهب ابن سينا إلى مدينة بخارى وهناك التحق ببلاط السلطان نوح بن منصور الساماني الذي أسند إليه متابعة الأعمال المالية للسلطان، وفي بخارى بدأ ابن سينا بتلقي العلوم حيث أتم حفظ القرآن الكريم وهو في العاشرة من عمره، ثم تلقي علوم الفقه والأدب والفلسفة والطب، ودرس ابن سينا على يد عالم بخاري متخصص بعلوم الفلسفة والمنطق اسمه "أبو عبد الله النائلي" وهو من الفلاسفة، فأحسن إليه والده واستضافه وطلب منه أن يلقن ابنه شيئا من علومه، فتفرغ هذا العالم لتلميذه وأخذ يعلمه دروسا من كتاب المدخل إلى علم المنطق المعروف باسم "إيساغوجي"، وكان النائلي يبدي إعجابا شديدا بتلميذه "ابن سينا" حين وجده يجيب على الأسئلة المنطقية المحورية إجابات صائبة وذكية تكاد لا تخطر على بال معلمه، واستمر ابن سينا مع معلمه حتي مغادرة هذا المعلم بلدة بخارى، وبدأ نبوغ ابن سينا منذ صغره إذ يقال أنه قام وهو في الثامنة عشر من عمره بعلاج السلطان نوح بن منصور الساماني، وكانت هذه هي الفرصة الذهبية التي سمحت لابن سينا بالالتحاق ببلاط السلطان ووضعت مكتبته الخاصة تحت تصرف ابن سينا.

وكان عالما وفيلسوفا وطبيبا وشاعرا ولقب بالشيخ الرئيس والمعلم الثالث بعد أرسطو والفارابي كما عرف بأمير الأطباء وأرسطو الإسلام، وقد أثارت شهرة ابن سينا الواسعة الكبيرة ومكانته العلمية العظيمة حسد بعض معاصريه وغيرتهم منه، ووجدوا في عقليته وآرائه الجديدة في الطب والعلوم والفلسفة مدخلا للطعن عليه واتهموه بالإلحاد والزندقة ولكنه كان يرد عليهم بقوله ”إيماني بالله لا يتزعزع، فلو كنت كافرا فليس ثمة مسلم حقيقي واحد على ظهر الأرض".

ومن أقواله المأثورة :

*المستعد للشيء يكفيه أضعف أسبابه.

*الوهم نصف الداء، والاطمئنان نصف الدواء، والصبر أول خطوات الشفاء.

*احذروا البطنة، فإن أكثر العلل إنما تتولد من فضول الطعام.

*العقل البشري قوة من قوى النفس لا يستهان بها.

وفاته رحمه الله:

ذهب ابن سينا إلى أصفهان حيث لقي رعاية كبيرة من أميرها علاء الدولة هناك أصاب جسده بالمرض واعتل حتى ذكر إنه كان يمرض أسبوعا ويشفى أسبوعا وأكثر من تناول الأدوية، ولكن مرضه اشتد عليه وعلم أنه لا فائدة من تناول الدواء فأهمل في نفسه وصحته وقال: "إن المدبر الذي في بدىء عجز عن تدبير بدني، فلا تنفعنّ المعالجة" واغتسل وتاب وتصدق من ماله إلي الفقراء وأعتق غلمانه طلباً للمغفرة، وتوفي في يونيو ١٠٣٧م وهو في سن الثامنة والخمسين من عمره ودفن في همدان في إيران.

ومن أهم تأليفاته:

١- كتاب القانون في الطبّ، الذي كتبه عام ١٠٣٠ م.

٢- كتاب الإشارات والتنبيهات.

٣- كتاب الشفاء.

٤- كتاب النجاة في المنطق والإلاهيات.

٥- كتاب الأدوية القلبية.

٦- كتاب دفع المضار الكلية عن الأبدان الإنسانيّة.

٧- كتاب القولنج.

٨- رسالة في سياسة البدن وفضائل الشراب.

٩- رسالة في تشريح الأعضاء.

١٠- رسالة في الفصد.

١١- رسالة في الأغذية والأدوية.

١٢- أرجوزة في التشريح.

١٣- أرجوزة المجربات في الطب.

١٤- كتاب الألفية الطبيّة.

١٥- كتاب مختصر إقليدس.

١٦- كتاب مختصر المجسطي.

١٧- كتاب مختصر علم الهيئة.

١٨- كتاب مختصر الأرتماطيقي.

١٩- رسالة الزاوية.

٢٠- رسالة في بيان علّة قيام الأرض وسط السماء.

٢١- رسالة في إبطال أحكام النجوم.

٢٢- رسالة في الأجرام العلوية وأسباب البرق والرعد.

٢٣- رسالة في الفضاء.

٢٤- رسالة في النبات والحيوان.

٢٥- كتاب قانون الحركة الأول.

بعض **نظريّاته في ميدان التعلّم والتربية**:

ا- لا بد من أن يكون التعليم جماعيا في المدارس لا فرديا: لأن انفراد الصّبي الواحد بالمؤدب أجلب لضجرهما. ولأن الصبي عن الصبي ألقن وهو منه آخذ وبه آنس، ولأن التعليم الجماعي من أسباب المباراة والمساجلة والمحاكاة.

ب- تبدأ تربية الصّبي منذ نعومة أظفاره: إذا فطم من الرضاع بُدِئ بتأديبه ورياضة أخلاقه قبل أن تهجم عليه الأخلاق اللئيمة.

ج- أول ما يتعلم الصّبي إذا اشتدّت مفاصله واستوى لسانه وتهيأ للتلقين: القرآن الكريم لما فيه من صور الحروف ومعالم الدين والقصص الخلقية والأحكام.

د- مسايرة ميول الصبي وتوجيهه إلى الصناعة والمهنة التي تتفق مع ميوله: "ينبغي لمدبّر الصبي إذا رام اختيار الصناعة أن يزن أوّلا طبع الصبي ويسبر قريحته ويختبر ذكاءه فيختار له الصناعات بحسب ذلك". وهذا ما يعمل في الدول المتقدمة في الوقت الحاضر حيث تجرى للأولاد اختبارات الذكاء واختبارات الميول والقدرات وحسب احتياجات الدولة من مهنيين وفنيين وفق خطط مرسومة مدروسة.

هـ - مبدأ الثواب والعقاب: ويكون ذلك بالترغيب والترهيب والإيناس والإيحاش، والحمد مرة والتوبيخ مرة أخرى، والضرب بعد الترهيب.

و- ينبغي أن يكون مؤدب الصبي عاقلا ذا دين، بصيرا برياضة الأخلاق، صادقا بتخريج الصبيان، وقورا رزينا بعيدا عن الخفة والسخف، لبيبا قليل التبذل والاسترسال بحضرة الصبي، ذا مروءة ونظافة ونزاهة، فالمؤدب قدوة يقتدى به.

وقفة مع الإمام الغزالي رحمه الله :

هو الإمام الهمام العالم العلّامة أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي رحمه الله ولد في مدينة من بلاد خرسان ببلاد فارس عام ٤٥٠ هـ -١٠٥٨ م، كان أبو حامد الغزالي مشغوفا بالعلم والمعرفة فدرس في صباه على يد أحمد بن محمد الراذكاني في مدينة طوس ثم تتلمذ على يد النصر إسماعيل في جرجان وعاد إلى طوس مرة أخرى وعكف على الدراسة والتحصيل، ثم انتقل إلى نيسابور حيث تتلمذ على يد رجل من أعظم رجال الدين في عصره وهو الإمام الجويني، فدرس علم الكلام وعلوم الدين وكان ذكيا موهوبا، ارتحل إلى بغداد بعد وفاة الإمام الجويني واشترك في مناظرة مع بعض العلماء في حضور الوزير نظام الملك صاحب أقوى دولة سلجوقية وأظهر الغزالي براعة وتفوقا في المناظرة فأعجب به الوزير نظام الملك وعهد إليه بالتدريس في المدرسة النظامية التي أسسها في بغداد عام ٤٨٤ هـ - ١٠٩١ م وكان الغزالي فصيح اللسان موفّقا موهوبا بقوة عجيبة في المناظرة وفي جميع أنواع العلوم المشهورة في زمانه.

الفكر التربوي عند أبي حامد الغزالي :

فتحت إسهاماته التربوية آفاقا جديدة في الفكرالإسلامي، وتشمل معالجته جميع القضايا التي تشغل الفكر التربوي المعاصر وقد ضمن الغزالي رحمه الله آراءه التربوية القيّمة في كتابه "إحياء علوم الدين" وهو واحد من مؤلفاته التي تزيد عن سبعين مؤلفا، وقد ركز الغزالي في تفكيره التربوي إلى الواقعية، حيث كان يؤكد على ضرورة تربية الفرد تربية صالحة لأن الفرد في نظره أساس المجتمع ولذلك فإن صلاح الفرد يحقق صلاح المجتمع، فالمجتمع الصحيح في نظره هوالذي ينشئ أفراده ويربيهم تربية صحيحة، وكان يرى في التعليم سعادة الدنيا والآخرة وإن كان الغزالي لم يكتب إلا القليل عن تربية الإناث إلا أنّه كان يرى العلم واجبا على الرجال والنساء وما قاله الغزالي بالنسبة للتعليم في الصغر له أهمية أساسية لأن نفسية الطفل وقلبه يكونان خاليين وقابلين للتطبيق عليهما.

وكان الغزالي رحمه الله يرى أن التربية تتأثر بطبائع الأطفال وبيئتهم وهو بذلك كشف عن ارتباط التربية بالسياق الاجتماعي والثقافي والسياسي للمجتمع وهي القضية التي تشغل الفكر التربوي في الوقت الراهن.

بعض تصوراته التربوية:

وقد أثرت أفكار محمد الغزالي في الفلسفة الصوفية على أرائه التربوية تأثيرا واضحا وإذا أضيفت إلى ذلك الاتجاهات السائدة في عصره فسوف يتضح مدى عمق أرائه وأهميتها في سجل التطورالتربوي.

وكان الغزالي ينزع إلى الواقعية في تفكيره وأهمية السعادة في الدنيا والآخرة مع شدّة الحرص على التطهّر من الرذائل والتحلي بالفضائل، ولم ينس في غمرة اهتمامه بالدين عنايته بالعلوم الدنيوية كالطب والحساب وبعض الصناعات الأخرى وكان دائم السعي في تربية الأفراد تربية صحيحة لأن صلاح الفرد بصلاح المجتمع. ويستهدف الغزالي بالتعلّم والتربوية أن يصل الإنسان إلى الكمال الإنساني الذي غايته التقرب من الله ومن ثم إلى سعادة الدنيا والآخرة ويبلغ الإنسان كماله باكتسابه الفضيلة عن طريق العلم وهذه الفضيلة تسعده في دنياه وتقربه من الله الذي يسعده في آخرته على أن الغزالي ذكر في أكثر من مناسبة على أن العلم يطلب لذاته فهو فضيلة في ذاته على الإطلاق أي يطلب المتعلم العلم لما في العلم من قيمة ومن متعة ومن لذة يستشعر بها طالب العلم.

أهداف التربية عند الغزالي:

تهدف التربية عند الغزالي إلى تكوين المؤمن الفاضل، الذي يستطيع أن يتغلب على بدنه ومعوقاته وبالتالي يستطيع أن يصل إلى سيطرة الروح، على البدن، سيطرة تؤدي إلى معرفة هذا العالم وإلى الوصول على أساس هذه المعرفة، بحثا عن الحقيقة إلى جوهر عالم الأمر والملكوت.

وهنا يرى الغزالي أن الإنسان يولد محايدا، من الناحية الأخلاقية وعلى مدى سيطرة الروح والجسد، يتجه الإنسان إلى القرب من الله، أو البعد عنه، فالقلب الإنساني كما يقول الغزالي" بأصل الفطرة، صالح لقبول أثارالملك ولقبول أثار الشيطان صلاحا متساويا" ذلك لأن الإنسان يتعرض لتأثير الملائكة، كما يتعرض لتأثير الشيطان والمهم بالنسبة للإنسان أن يميز بين ما يلهمه إلى عمل الخير وبين ما يدفعه إلى عمل الشر، والعلم والتعليم هما اللذان يؤديان إلى تحقيق قدرة الإنسان على هذا التمييز.

نظرياته في عمليّة التعلم:

يقول الغزالي في الرسالة اللدنية "إن بعض الناس يحصلون العلوم بالتعلم وبعضهم بالتفكير".

فتحصيل العلم بالتعلم يحدث إذا أغلبت القوة البدنية على النفس وفي هذه الحالة يحتاج المتعلم إلى فترة زمنية طويلة وإلى زيادة في التعلم وإلى تحمل المشقة والتعب. أما تحصيل العلم عن طريق التفكير فيحدث إذا غلب نور العقل على أوصاف الحس وهنا يستغني المتعلم بقليل من التفكر عن كثرة التعلم وهذا النوع من التعلم هو النوع الإنساني على أن هناك نوعا آخر أعلى وأسمى هو التعلم الرباني ويحدث هذا إذا ما استطاعت النفس أن تزيل عنها دنس الطبيعة وتنفصل عن شهوات الدنيا.

منهجه التربوي:

يعتقد الغزالي أن التعليم صناعة من أشرف الصناعات، مستشهدا في ذلك بقول الرسول ﷺ "إنما بعثت معلّما". ويرى أن الإنسان أشرف المخلوقات على الأرض، وأن أشرف ما في الإنسان قلبه وحيث إن المعلّم مشتغل بتطهير القلب وتقريبه إلى الله فهي صناعة من أشرف الصناعات. وفي ذلك يقول: أشرف موجود على الأرض جنس الإنس وأشرف جزء من جواهر الإنسان قلبه والمعلم مشتغل بتكميله

وتصفيته وتطهيره وسياقه إلى القرب من الله عز وجل. فيتعلم العلم من جهة عبادة الله تعالى ومن جهة خلافة الله تعالى، فان الله قد فتح على قلب العالم العلم الذي هو أخص صفاته، فهو كالخازن لأنفس خزائنه.

تقسيمه العلوم :

قسّم الغزالي رحمه الله العلوم من حيث منفعتها إلى ثلاثة أقسام وهي :

القسم الأوّل: علوم مذموم قليلها وكثيرها: وهذه العلوم لا يرجى منها نفع في الدنيا والآخرة كعلوم السحر والتنجيم وكشف الطوالع وهذه العلوم تؤدي الإضرار بدارسيها والمصدقين لها وقد يتشككون في الله بل قد يستخدمها دارسوها ومتقنوها في الشر.

القسم الثاني: علوم محمود قليلها وكثيرها : مثل العلوم الدينية والعبادات وهذه تؤدي إلى تطهير النفوس والسمو بها عن الرذائل والشرور وتقرب الإنسان من ربّه جلّ وعلا.

القسم الثالث: علوم يحمد منها قدر معيّن: يذم التعمق فيها وهي التي تسبب في إرباك الناس وتشككهم وتؤدي إلى الإلحاد كالفلسفة.

ويقسّم أيضا العلوم من حيث أهميتها إلى قسمين:

(الأول): العلوم المفروضة أي فروض عين: التي يجب على كل مسلم معرفتها مثل علوم الدين،على رأسها دراسة كتاب الله عز وجل.

(الثاني): العلوم المفروضة أي فروض كفاية: أي العلوم التي لا يستغنى عنها في تسيير أمور الدنيا، مثل علوم الحساب والطب وبعض الصناعات كالفلاحة والحياكة. وقد أجاد الغزالي في الجزء الأول من كتابه "إحياء علوم الدين" بتقسيماته المتعددة، للعلوم المختلفة، فتكلم عن العلوم الشرعية والعلوم المحمودة كما قسم الفلسفة إلى

خمسة فروع وهي الرياضيات، العلوم المنطقية، الإلهيات،الطبيعيات، والسياسات، الخلقيات.

منهجه الذي اقترحه بحسب أهمية العلوم:

أولاً : مجموعة القرآن الكريم وعلوم الدين كالفقه والسنة والتفسير.

ثانياً : مجموعة اللغة والنحو ومخارج الحروف والألفاظ وهي علوم تخدم علوم الدين.

ثالثاً: فروض الكفاية وهي علوم الطب والحساب والصناعات المختلفة بما فيها من السياسة.

رابعاً : العلوم الثقافية كالشعر والتاريخ وبعض فروع الفلسفة وقد رتب الغزالي هذه العلوم بحسب أهميتها. ونلاحظ اهتمامه بالعلوم الدينية والخلقية وكذا بالعلوم الضرورية لحياة المجتمع كما أكد النواحي الثقافية.

آداب المعلّم وشروطه عند الإمام الغزالي رحمه الله:

الشفقة على المتعلمين.

أن يكون تعليمه بدون مقابل.

أن لا يدخر في نصح المتعلم شيئا.

أن يبدأ بصلاح نفسه فان أعينهم إليه ناظرة وآذانهم إليه مصغية فما استحسنه فهو عندهم حسن وما استقبحه فهو عندهم قبيح .

أن يلزم الصمت في جلسته ويكون معظم تأديبه بالرهبة. أن لا يكثر الضرب والتعذيب ولا يحادثهم فيجرؤون عليه ولا يدعهم يتحدثون فينبسطون بين يديه.

أن لا يمازح بين أيديهم أحدا ويتنزه عما يعطونه ويتورع عما بين يديه.

أن يعلّمهم الطهارة والصلاة ويعرّفهم بما يلحقهم من نجاسة.

زجر المتعلم عن سوء الخلق بطريقة التعريض بما أمكن.

أن لا يفرض على الطالب اتجاه المعلّم وميله.

أن يتعامل مع المتعلم على قدر فهمه.

التعامل مع المتعلم بجلاء ووضوح.

أن يكون المعلم عاملا بعلمه.

آداب المتعلم وشروطه عند الغزالي:

تقديم طهارة النفس على رذائل الأخلاق ومذموم الصفات.

التقليل ما أمكن من الاشتغال بالدنيا.

ألا يتكبر على العلم ولايتأمر على المعلم.

على المبتدئ ألا يخوض أو يصغي إلى اختلاف الناس.

ألا يدع طالب العلم فنا من العلوم المحمودة ولا نوعا من أنواعها إلا وينظر فيه.

ألا يخوض في فن دفعة واحدة ويراعي الترتيب ويبدأ بالأهم.

ألا يخوض في فن حتى يستوفي الفن الذي قبله.

أن يعرف السبب الذي به يدرك أشرف العلوم. أن يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة.

أن يبدأ بالسلام ويقوم للأستاذ احتراما له.

أن لا يقول له، قال فلان خلاف ماقلت.

أن لا يسأل جليسه في مجلسه ولا يبتسم عند مخاطبته ولا يشيرعليه بخلاف رأيه. ولا يأخذ بثوبه إذا قام ولايستفهمه عن مسالة في طريقه حتى يبلغ إلى منزله. ولا يكثرعليه بالسؤال وغيره عند مللله.

وبالجملة، أنّ المتفحص المنصف في تراث هذا الإمام الكبير يجده متميزا عن غيره من علماء عصره ـ بل ومن جاء بعده في العصور المتأخرة ـ بميزة رائعة في تاريخ العلوم عند العرب والمسلمين، ألا وهي الفكر المنهجي الدقيق الذي يرى واضحا جليا في كتابته باختلاف مواضعها وفروعها.

وقد التزم الإمام الغزالي في منهجه هذا اليسروالسهولة وقرب المأخذ حتى ليستطيع القارئ العادي الذي لم يدرك التخصص أو التعمق أن يتذوقه ويفهمه ويلم به ويتفاعل معه، وربما يعود السبب في ذلك إلى أن هذا الإمام العظيم كان ِيمتلك أفكار الناس ويجتذبها إليه ويبني على أساسها حججه المقنعة في ترتيب الدلائل والمقدمات والنتائج، مكونا منها بعد ذلك أسلوبا رائقا يتسم بسلاسة العرض وسهولة البيان. ولعلّ طول باعه، وثبات جذوره في ميادين العلم المختلفة يسّر له دعم آرائه وأفكاره أيا كانت بالحجة القاطعة والدليل المقنع والبرهان الساطع.

وقفة مع ابن جماعة:

هوالعالم العلّامة، قاضي القضاة محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن جماعة بن حازم الكناني الشافعي، وكنيته أبو عبد الله، ولقبه بدر الدين. ويعرف منسوباً إلى جده الرابع "جماعة"، وقد ذكر بدر الدين نسبه مفصلاً في آخر ورقة من ورقات كتابه "المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي"، مرفوعا إلى قبيلة كنانة العربية[٣].

٣) فوات الوفيات، ١: ٣٥٣

ولادته ونشأته ووفاته:

ولد بدرالدين ابن جماعة بحماة سنة ٦٣٩ هـ، باتفاق جميع الروايات، وتلقى علمه الابتدائي بمسقط رأسه، ونشأ في أسرة شريفة عربية مشهورة بالعلم والصلاح حيث كان والده وأخواه من أهل الحديث والورع والتقوى. ثم قدم إلى دمشق وكانت في عصره محجّ العلماء وطلبة العلم، اشتهر عنه مهارته في إنشاء المدارس وتأسيسها على قواعد متينة والإشراف عليها بأساليب مبتكرة ممتازة، وشهد له العلماء بإتقان التدريس وإجادة مهاراته، ولما ذاع فضل بدر الدين بن جماعة أسند إليه قضاء الشافعية بالقدس عام ٦٨٧ هـ، ثم نقل إلى الديار المصرية سنة ٦٩٠ هـ. وقد تسنى لبدر الدين أن يعيش في كنف أبيه برهان الدين إبراهيم حياة علمية راقية، ذلك أن أباه كان فقيهاً متصوفاً ورعا متعبداً، مراقباً لله في حاله ومقاله، فنشأ بدر الدين على طريقة أبيه محمولاً على جناح العلم والتصوف سنوات كثيرة [٤]. وتوفي رحمه الله بالقاهرة عام ٧٣٣هـ مخلفا وراءه ثروة علم لا تنفد ولا تنسى.

أساتذته :

وقد حظي الإمام بصحبة كثير من العلماء الكرام، فالذين سمع منهم وروى عنهم في حماة ودمشق والقدس والقاهرة فهم كثيرون، منهم: جمال الدين ابن مالك صاحب الألفية في النحو، والقاضي تقي الدين ابن رزين الحموي، ومسند الشام ابن أبي اليسر، وابن عزون، وابن عبد الله، وابن مسلمة، وابن القسطلاني، وأصحاب البصيري، كما روى عن شيخ الشيوخ شرف الدين الأنصاري الحموي وغيرهم.

٤) السبكي، الطبقات.

تدريسه وتوليه القضاء:

ولما أتم بدر الدين تحصيله العلمي انصرف إلى التدريس والإفتاء، فقد ذكر أنه كان يدرس بالقيمرية في دمشق[٥] وأنه أفتى في سن مبكر، ولما عرضت فتواه على الشيخ محيي الدين النووي استحسن ما أجاب به. أما السبكي صاحب الطبقات ـ وهو أحد تلامذة بدر الدين ـ فقد ذكر أنه ذو عقل لا يقوم أساطين الحكماء بما جمع فيه، وكفاه فخرا وشرفا و شهادة على فضله وعلوّ منزلته العلمية، أنّ الإمام الهُمام السبكي رحمه الله- صاحب الطبقات- صارتلميذه المحبّ.

وقد انتدب ابن جماعة إلى القضاء والخطابة في القدس ودمشق والقاهرة، وبقي قاضياً للقضاة في مصر وحدها خمساً وعشرين سنة، ولما استغنى لم يأخذ على القضاء أجراً معلوماً، مقتدياً بشيخه تقي الدين ابن رزين الحموي،[٦] ويبدو أن أجمل أيامه في القضاء كانت في دمشق والقدس، حيث كان بعيداً عن مركز السلطة، سالماً من الكيد والحسد، آمناً على دينه. وذلك كثيراً ما كان القضاة يتعرضون للعزل والنقل بسبب وقوفهم إلى جانب الحق، وعدم استجابتهم لأهواء السلاطين والملوك.

"وقد أكسبته حياة القضاء الطويلة علماً لا ينضب معينه، وخبرة واسعة في دنيا الناس، وفهماً عميقاً لفنون الرواية والدراية، فانصرف يؤلف الكتب في قواعد الحكم والأحكام الفقهية، وفي أصول البحث والمناظرة والتربية. ثم لما كف بصره، وثقل سمعه، أعفى نفسه من القضاء، غير أنه لم ينقطع عن التدريس. وكان بيته المطل على نهر النيل موئلاً يقصده أهل العلم والأدب، فيسمعون، إلى أن وافاه الأجل سنة ٧٣٣هـ، عن عمر يناهز الرابعة والتسعين، ودفن بالقرافة في القاهرة، قريباً من الإمام الشافعي، وكانت جنازته حافلة هائلة "[٧].

٥) ابن كثير البداية والنهاية ١٤: ١٦٣
٦) السبكي، الطبقات٥ :١٩.
٧) ابن العماد، شذرات الذهب ٦:١٠٦.

تلاميذه:

أما تلامذة بدر الدين ابن جماعة فلا نكاد نحصي لهم عدداً، فمنهم من بلغت شهرتهم إلى الآفاق ومنهم قاموا بتأليفات قيّمة لا تزال تذكر وتقرأ على ممرّ الأيّام. ويكفيه كرامة ببرهان الدين الشامي، وعبد الوهاب السبكي صاحب طبقات الشافعية الكبرى، وعبد العزيزابن جماعة قاضي القضاة في مصر والشام فلذة كبده وقرة عينه، وغيرهم أتى على ذكرهم أصحاب التراجم.

ومن تأليفاته القيّمة :

١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم.

٢) المختصر في علم الحديث.

٣) كتاب المسالك في علم المناسك.

٤) المنهل الروي في علوم الحديث النبوي.

٥) كتاب المقتص في فوائد تكرير القصص.

٦) تحرير الأحكام في تدبير جيش الإسلام.

٧) تنقيح المناظرة في تصميم المخابرة.

٨) حجة السلوك في مهاداة السلوك.

صفات المعلم عند ابن جماعة:

يرى ابن جماعة أن المعلّم أهم عنصر في نجاح العملية التعليمية، فالتعليم عنده لا يتم بغير معلّم، كما أن عناصر التعليم تفقد أهميتها إذا لم يتوفر المعلم الصالح، ويرى ابن جماعة أن المتعلم لا يستطيع تحقيق أهدافه إلا إذا أحسن اختيارمعلميه. لذلك لا يصلح

كل فرد للتعليم عند ابن جماعة، لذا وضع ابن جماعة للمعلم آدابا مع نفسه تكون دائما معه وآدابا مع طلابه وحين درسه.

الصفات التي ينبغي للمعلّم أن يتصف بها في نفسه عند ابن جماعة:

١) مراقبة الله تعالى في السر والعلن، والمحافظة على خوفه في جميع حركاته وسكناته وأقواله وأفعاله فإنه أمين على ما أودع من العلوم.

٢) التخلق بالزهد في الدنيا والتقلل منها بقدر الإمكان الذي لا يضر بنفسه أو بعياله فإن ما يحتاج إليه لذلك على الوجه المعتدل من القناعة ليس يُعَدُّ من الدنيا.

٣) أن ينزه علمه عن جعله سلمًا يتوصل به إلى الأغراض الدنيوية من جاه أو مال أو سمعة أو شهرة أو خدمة أو تقدم على أقرانه.

٤) أن يحافظ على القيام بشعائر الإسلام وظواهر الأحكام كإقامة الصلاة في المساجد للجماعات وإفشاء السلام للخواص والعوام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى المندوبات الشرعية القولية والفعلية فيلازم تلاوة القرآن، وذكر الله تعالى بالقلب واللسان ونحوها، بمعنى أن يتخلق بأخلاق الإسلام من معاملة الناس بمكارم الأخلاق من طلاقة الوجه، وإفشاء السلام و إطعام الطعام، وأن يسعى إلى إصلاح نفسه أوّلا حتى يكون قدوة لطلابه وغيرهم.

٥) دوام الحرص على الازدياد من العلم بملازمة الجد والاجتهاد والمواظبة على وظائف الأوراد من العبادة، وإشغال القلب بالقراءة والمطالعة والفكر والتعليق والحفظ والتصنيف والبحث، ولا يضيع شيئا من أوقات عمره في غير ما هو بصدده من العلم والعمل إلا بقدر الضرورة.

الصفات التي ينبغي للمعلم أن يتصف بها في درسه عند ابن جماعة:

١- العناية بالنظافة والتطهر وحسن المظهر والرائحة: حيث يقول : "إذا عزم على مجلس التدريس تطهّر من الحدث والخبث وتنظف وتطيب ولبس من أحسن ثيابه

اللائقة به بين أهل زمانه قاصدًا بذلك تعظيم العلم وتبجيل الشريعة" ثم أورد قصة الإمام مالك رحمه الله، أنه كان إذا جاءه الناس لطلب الحديث اغتسل وتطيب ولبس ثيابًا جددًا ووضع رداءه على رأسه ثم يجلس على منصة ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ، وقال: أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ.

٢- الجلوس في مكان بارز حتى يتمكن الجميع من رؤيته والاستفادة منه حيث يقول: "أن يجلس المعلّم بارزًا لجميع الحاضرين".

وهذا أمر مهمّ جدّا في عملية التربية أي أن يكون المعلّم في مكان لا يجد الطلاب صعوبة في رؤيته والتواصل معه، ولتكتمل العملية التعليمية لا يكون هناك أيّ عائق دون أغلب حواس الجسد، وهذا ما يذكره علماء النفس التعليمي أيضا.

٣- أن يساوي بين الصغير والكبير والعظيم والحقير في الالتفات إليه والإجابة على أسئلتهم، فيرى ابن جماعة أن التفريق بينهم من أفعال المتجبرين والمتكبرين.

٤- تنظيم المنهج ومراحل التعليم، فيرى ابن جماعة :أن يقدم للطالب الأشرف فالأشرف، والمهم فالأهم، من ألوان المعرفة عند تنظيم المنهج فيقول: "إذا تعددت الدروس قدم الأشرف فالأشرف والأهم فالأهم، فيقدم تفسير القرآن ثم الحديث ثم أصول الدين ثم أصول الفقه ثم المذهب ثم الخلاف أو النحو أو الجدل".

٥- التوسط في الدرس بين الإطالة والتقصير في مدة الدرس مراعيا في ذلك حال الدارسين ومصالحهم، فيقول: "وينبغي أن لا يطيل الدرس تطويلاً يمل، ولا يقصره تقصيرًا يخل، ويراعي في ذلك مصلحة الحاضرين في الفائدة في التطويل".

٦- أن يكون صوته مناسبا للمكان والدرس فلا يكون مرتفعا أكثر من الحاجة فيكون مزعجا، ولا يقل فيجد الطلاب صعوبة في الاستماع والتركيز بل يتوسط فيه بحسب الحاجة فيقول: "أن لا يرفع صوته زائدًا على قدر الحاجة ولا يخفضه خفضًا لا يحصل معه كمال الفائدة".

٧- أن يجعل المعلم في أثناء كلامه فرصة للأسئلة ويترك لمن في نفسه شيء يريد قوله واستفسار شيء يريد بيانه وذلك أمر مهم للغاية حتى لا يضطر الطلاب إلى مقاطعة الشيخ أثناء كلامه فتنقطع أفكاره، فقال" وإذا فرغ من مسألة أو فصل سكت قليلاً حتى يتكلم من في نفسه شيء من التردّد والشكّ".

٨-المحافظة على هدوء المجلس الذي يلقى فيه الدرس حيث قال: "أن يصون مجلسه عن اللغط، فإن الغلط تحت اللغط، وعن رفع الأصوات واختلاف جهات البحث".

٩- الإنصاف وقبول الحق ولو كان من أحد تلامذته الصغار، فيرى ابن جماعة من صفات المعلم الجيد: "أن يلازم الإنصاف في بحثه وخطابه ويسمع السؤال من مورده على وجهه وإن كان صغيرًا ولا يترفع على سماعه فيحرم الفائدة".

١٠- أن يكون المعلم مؤهلا تأهيلا كافيا في مجال تدريسه، فإن لم يكن كذلك فإنه لا يحق له أن ينتصب للتدريس مطلقا سواء عرفت الجهات الرسمية التي عينته أنه مؤهل أم لا، ويبيّن ابن جماعة سبب المنع بقوله: "فإن ذلك لعب في الدين وازدراء بين الناس".

صفات المعلّم الجيّد مع طلاّبه عند ابن جماعة:

١) أن لا يمتنع من تعليم الطالب لعدم خلوص نيته، فإن حسن النية مرجو له ببركة العلم. وذكر نصوصا وآثارا عن السلف تبين أن خلوص النية ليس شرطا في تدريس الطلاب فقال: "قال بعض السلف: طلبنا العلم لغير الله، فأبى أن يكون إلا لله، قيل: معناه فكان عاقبته أن صار لله" ثم بين الحل لهذه المشكلة بأن "الشيخ يحرض المبتدئ على حسن النية بالتدريج قولاً وفعلاً، ويعلمه بعد أنسه به أنه ببركة حسن النية ينال الرتبة العلية من العلم والعمل وفيض اللطائف وأنواع الحكم وتنوير القلب وانشراح الصدر وتوفيق العزم وإصابة الحق وحسن الحال والتسديد في المقال وعلو الدرجات يوم القيامة".

٢) ترغيب الطلاب وتشويقهم إلى مجال العلم، حتى يبذلوا فيه غاية وسعهم وجهدهم، وذلك بذكر فضل العلم ومنازل أهله ومكانتهم عند الله أولا ثم مكانتهم عند الناس، وأن العاقبة للعلم والعلماء طيبة ونحو ذلك من أنواع الترغيب والتحبيب.

٣) أن يحب لتلميذه ما يحب لنفسه كما جاء في الحديث، ويكره له ما يكره لنفسه، وأورد أثر ابن عباس: أكرم الناس عَلَيَّ جليسي الذي يتخطى رقاب الناس إليّ، لو استطعت أن لا يقع الذباب عليه لفعلت.

وهذا الخلق الجميل الذي ينبعث عن طهارة قلبه وسلامة صدره مطلب مهمّ للمعلّم، لأنه يبعث المعلم على اهتمامه بطلابه كاهتمامه بنفسه، وصرف جميع أوقاته فيما ينفعهم ويفيدهم ولا يبخل أن يبذل لهم من أيّ خير من النصح والتوجيه والعلم.

٤) الرفق بالتلاميذ والصبرعليهم.

أنّ ابن جماعة يرى، فالمعلّم الناجح هو الذي يعتني بمصالح الطلاب، ويعاملهم بما يعامل به أعز أولاده من الحنوّعليه والإحسان إليه، فأنجح المعلّمين في عمله هو أشدهم حبّا لتلاميذه ورفقا بهم وتواضعا معهم، ومجتهدا في تفهيمهم وإيصال المعلومة لهم بكل يسر وسهولة.

٥) إذا فرغ من الدرس ينبغي عليه أن يختبر فهمَ الطلاب للدرس من عدمه، ولا يكون ذلك بسؤالهم مباشرة هل فهمتم؟ وإنما يكون باختبارهم بطريقة تجعل المعلم يرعف قدر استيعابهم للدرس فإن السؤال السابق-هل فهمتم- يجعل "ربما استحيا من قوله لم أفهم إما لرفع كل الإعادة على الشيخ أو لضيق الوقت أو حياء من الحاضرين أو كيلا تتأخر قراءتهم بسببه" فينبغي ألا يقول له هل فهمت" إلا إذا أمن من قوله نعم قبل أن يفهم، فإن لم يأمن من كذبه لحياء أو غيره فلا يسأله عن فهمه" والطريق الصحيح في الاختبار "يطرح عليه مسائل" وبها يعرف مدى استيعابه.

٦) العدل في معاملة التلاميذ: يرى الإمام ابن جماعة يتميز المعلّم الجيد من غيره بالبعد عن الهوى في معاملة التلاميذ. ودعا ابن جماعة إلى أن يحكم العدل سلوكَ

المعلّم في تعامله مع تلاميذه، وكره له صفة التحيز ومحاباة البعض على حساب الآخرين لما يسببه ذلك في قلوب التلاميذ من نفور ووحشة وكراهية للمعلم وللتعليم في الجملة.

بعض آرائه القيّمة في هذا المجال:

إنّ المعلّم الصالح في نظر ابن جماعة هو من اجتمعت في شخصيته ثلاثة عناصروهي: غزارة المادة العلمية، الثقافة العامة، ومعرفة المعلّم بطبيعة المتعلّم. أولاً: غزارة المادة العلمية: - يرى ابن جماعة أن المعلم يجب أن يعرف ما يعلمه أتم المعرفة وأعمقها، كما يجب عليه أن لا ينقطع عن التعلم والدراسة. إضافة إلى البحث في فروع المعرفة التي يقوم بتدريسها. يجب على المعلم أن لا يستنكف أن يأخذ العلم ممن هو أدنى منه، حتى من تلاميذه. فقد يستفيد من أفكارهم ومعارفهم التي يتبادلونها في الدرس. لا يكفي للمعلم أن يطلّع على أساسيات العلم الذي يدرسه لكي ينجح في عمله، لأنه لن يدرك حقيقة هذا العلم- وإن كانت أساسيات - إلا بعد أن يطلع على آفاقه العليا، ولأن المعارف الضئيلة لا تثير أذهان التلاميذ ولا تؤثّر في قلوبهم أيّ تأثير، فاقتصار الأستاذ عليها لن يفيدهم منها إلا حفظها فقط، فلذا يجب على المعلم أن يكون ماهرا متقنا محباً لمادته العلمية، عالما بقيمتها، ومتى ما كرهها فترت همته، وكرهه التلامذة وكرهوا المادة التي يدرّسها. وأما وسائل التعلم التي يراها ابن جماعة ناجحة وهي: القراءة والتعليق، الحفظ والبحث، إضافة إلى الاجتماع بالعلماء طويلاً والبحث معهم كثيراً. فإذا تأهل للبحث والتأليف والمهارات اللازمة لهما اشتغل بالتصنيف.

ثانياً: الثقافة العامة -: هي الثقافة الإنسانية الواسعة، التي تهيئ للمعلّم أسباب ائتلاف الطبيعة والحياة الاجتماعية والقيم... فإذا حرم المعلّم منها عاش في كهف مظلم منقطعاً عن العالم. التعليم لا يعني مجرّد نقل المعلومات من المعلّم إلى التلميذ، بل هو أشمل. فهو يتضمّن تثقيف المتعلمين وتزويدهم بالعادات العقلية الصحيحة، مع المعلومات والمهارات المختلفة المتنوّعة. بالإضافة إلى تهذيب نفوسهم ومساعدتهم

على تكوين قيم عالية، وغير ذلك مما يحتاجونه في حياتهم. وكل ذلك يتطلب من المعلّم معرفة بعلوم مختلفة، لذلك يرى الإمام ابن جماعة أن على المعلم أن لا يترك فناً أو علماً إلا ونظر فيه. فإن ساعده الوقت على التبحر فيه كان خيرا، وإلا استفاد منه ليجعله لا يعادي هذا العلم جهلاً به -.يبدأ التثقيف العام للمعلم عند ابن جماعة بأن يحفظ المعلم من كل فن مختصراً ليتعرف على طبيعة هذا الفن، ولا يعتمد على الكتب ابتداء بل يبحث عن المعلم الأحسن تعليماً في هذا الفن. ثم يحذر الإمام ابن جماعة المعلم من الانشغال بالأمور الخلافية في كل علم، لأن ذلك عديم الفائدة ما دام لن يتخصص فيه، بل وسيشوش فكره ويصيبه بالملل. ويحذّرابن جماعة من أن ينتقل المعلم من كتاب إلى كتاب قبل أن يتقن الأوّل، لأن فيه ضياع الأوقات. فالتنقل أيضاً من علامات الضجر وعدم الفلاح.

ثالثاً: معرفة المعلم بطبيعة المتعلم: يرى ابن جماعة أن المعلّم يجب أن يعرف تلاميذه بوجوههم وأسمائهم وأنسابهم وبلدانهم وأسرهم وجميع أحوالهم. ثم يضع المعلم أمام حقيقة تربوية هي: "كل متعلم فريد في نوعه". لذا يحتاج المعلم إلى معرفة إمكانات جميع المتعلمين، ليكون تعليمه لهم على حسب ما تؤهلهم له قدراتهم.

وبالجملة وممّا لا يختلف فيه اثنان، أنّ الإمام ابن جماعة قد أسهم في ميدان التربية والتعليم بآرائه القيّمة التي لا زالت ولا تزال تبحث وتذكرحتى إلى يومنا هذا، ولا يخفى على أحد أنّ كتابه في هذا الميدان كتاب قيّم يشفي الغليل ونادر من حيث التخصص والترتيب والسبك والاستدلال، فهو يعتبر تراثا عظيما في مجال التربية لا سيّما وقد ألفه رجل له باع في أغلب علوم الشريعة وبذل عمره كلّه في التعليم والتدريس إلى آخر لحظة من حياته جزاه الله خيرا بما هو أهله.

وقفة مع ابن خلدون:

هوالعالم العلّامة الفقيه القاضي الشاعرالمجيد والحكيم المؤرّخ عبدالرحمن بن محمد المعروف بابن خلدون، من ولد وائل بن حجر، الفيلسوف العالم الاجتماعي، أصله من إشبيلية، ولد ونشأ بتونس سنة ٧٣٢هـ الموافق ل٢٧ ما يو ١٣٣٢م ، وتلقى العلم

والأدب من أبيه ومن كبار العلماء في عصره، اشتهر بكتابه "العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر" في سبعة مجلدات، أولها المقدمة وهي تعد من أصول علم الاجتماع وقد طار صيتها في الآفاق شرقا وغربا وسهلا ووعرا، ولم ينسج أحد من المتقدمين ولا المتأخرين على منوالها وقد ترجمت إلى اللغة الفرنسية وغيرها من اللغات. وتوفي في ٢٦ رمضان سنة ٨٠٨هـ الموافق ل١٦ مارس ١٤٠٦م وسنه ٧٦ سنة، ودفن خارج باب النصر بمقبرة الصوفية في القاهرة.

آراء ابن خلدون في التربية :

لا ريب أن ابن خلدون لعب دورا هاما في التراث الإسلامي والعربي، وإضافة إلى ذلك كان ماهرا بارعا في الفنّ الاقتصادي والسياسي لا سيما في مجال التعلّم و التربية الذي يزداد أهميته في العصر الحديث يوما فيوما. ومما لا يشكّ فيه أحد أنه يحتل مكانة مرموقة ممتازة في تراثنا العربي والإسلامي، وينظر إليه على أنه صاحب مشروع ورؤية حضارية رفيعة خاصة ولاسيما فيما يتعلق بدراسة المجتمع الإنساني والتاريخ البشري، ويشار إليه بالبنان أنّه صاحب منهجية في التفكير والنظر والبحث والتفسير. فهو لم يكن خالي الذهن من مختلف ميادين المعرفة العلمية، بل كان ذا ثقافة موسوعية شاملة، لديه إحاطة بالعديد من أنواع العلوم حتى طارت شهرته عند عامة الناس بأنه صاحب الفضل في إرساء قواعد فلسفة التاريخ وصار يذكر في الكتب الحديثة بأنه منشئ علم الاجتماع العمراني. وأما منهجه التربوي شاسع الأطراف ويمس جميع الأنحاء خاصة يركز في الناحية التعليمية والتربوية . فقد وضح صراحة أن عملية التعليم والتربية غريزية في الوضع البشري وقوة فكره تميز الإنسان عن سائر الخلائق وقلبه يكون مرغما في الوقوف على ما ليس عنده من المعلومات.

يقول إنّ التعليم والتربية تتكون من عناصر ثلاثة وهي المعلم والمتعلم والطريقة أو الوسيلة. وتتحقق الأهداف التربوية باتصاف واتّسام هذه العوامل بشروط الكمال التي تمهد الطريق إلى مستقبل خلاب. وفقا لوجهة نظر ابن خلدون التعلم هو"اكتساب

العلوم واجتلابها إلى القلب" ويقول أيضا "العلوم البشرية قوامها بالنفوس الإنسانية بما أودع الله فيها من قوة الإدراك والتفهم الذي يمكنه على تصور الحقائق". ومن شروط المعلّم التي عداها ابن خلدون التواصل والتسلسل في تلقين العلم والتنحي عن دمج بين العلوم والفنون المتفرقة في وقت واحد. ومنها اعتناء الفروق الفردية بين الطلبة من المهارات الشخصية كسرعة الفهم والحفظ وأيضا حثهم على الاستمرار والتكرير بالمواد التعليمية. ومن الصفات التي قام ببيانها ابن خلدون لأن يتصف به المتعلم الاستماع والإصغاء وتقديم السماع من القراءة والكتابة في اكتساب العلم. ومنها الاستعداد التام والانهماك الكامل في التعلّم بالإعراض عن إغراءات العالم الحديث والاستصحاب والمعاشرة مع شيوخ العلم وأصحابه.

وصفوة القول أنّ ابن خلدون هو الذي رسم خرائط التعلّم والتربية بالوضوح، وجعل لهما مبادئ وطرائق يسهل معها عمليّة التعلّم والتربية، حيث إنه قسّم المعلومات إلى نوعين رئيسيين وهما المعلومات الخاصّة بالملكة أي المعلومات الآليّة كتعلم اللغة بقوانينها والمعلومات الخاصة بالصناعة أي المعلومات التطبيقية كتعلم اللغة واستعمالها في صورة كلام أو كتابة، وأنّه أورد في أثناء تحديده للمنهج التربوي السليم شروطا دينية، ودنيوية، ينبغي على المعلّم والمتعلّم التحلي بها، حتى تكون عملية التعلّم والتعليم ناجحة، ومثمرة، فمن البديهي أن الإنسان لا يتعلم أية خبرة أو مهارة فكرية إلا إذا كان حاصلا على الشروط اللازمة للقيام بمثل هذه العملية، وتنحصر الشروط في هذه المبادئ الآتية :

أوّلا:- شروط المعلّم عند ابن خلدون:

أ) إحاطة المعلّم بمبادئ التعليم وتركه الشدّة على المتعلمين: يعد "المعلّم" العنصر الأساسي في العملية التربوية، فهو المتصرف في قلوب البشر، وهو أيضا بمثابة الطبيب المعالج للنفس من مرضها وجهلها بالعلوم، بل إن مهمته أخطر فيما يرى "الغزالي أبو حامد" من مهمة الطبيب، لأن الأول متصرف في العقول والقلوب في حين أن الثاني متصرف في الأبدان، وشتان مابين النفس والبدن، فمهمته إذن

شريفة، إلى الحد الذي تجعله وريثا للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومن تصدّر لهذه المهمّة فقد تقلد أمـرا عظيما يفرض عليه آدابا وشروطا، كأن يكون المربي قادرا على التعليم، وذا كفاءة، غير مستبد، ولا يكون قاسيا غليظـا مع المتعلم، لكي لا يجـرّه إلى الكذب: "وذلك أن إرهاف الحد بالتعليم مضر بالمتعلم سيما في أصـاغر الولد لأنه من سوء الملكة ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو الممالك أو الخدم سطا به القهـر وضيق عن النفس في انبساطهـا وذهب بنشاطها ودعـاه إلى الكسـل وحمـل على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفا من انبسـاط الأيدي بالقهر عليه وعلمه المكر والخديعة"[٨]. وأن يكون ذا ثقافة عامة تمكنه من إفادة المتعلمين إفادة متنوعة، توسع في الوقت نفسه من أفقه المعرفي وتحفظه من بلبلة أفكارهم بالمعلومات الخاطئة أو المعارضة أو من مغبة التعصب الأعمى ضـد العلوم التي لم يعرفها عن قرب أو بعد، فالناس أعداء لما يجهلون كما يقال، وأن يلم بطرائـق التعليـم ومبادئه ومهاراته، متـوقفـا عند مسائـله، مستنبطـا فروعـه من أصوله، حتى يكون التعليم مزدهرا ومحققا لأهدافه: "إن فهم المسألة الواحـدة من الفن الواحد مشترك بين من شدا إلى ذلك الفن وبين من هو مبتدئ فيه وبين العامي الذي لم يعرف علما وبين العالم النحرير"[٩] باعتبار التعلم صناعـة شأنها شأن باقي الصناعات الأخرى كما ورد على لسان ابن خلدون، فنجاحهـا وفشلها يرتبطان بالقائمين عليها، والمعلمون هم سند هذه الصناعة، وهذا المبدأ يمثل اليوم إحدى الاهتمامات الرئيسة للمشرفين على قطاع التربية والتعليم، حيث سنت الوزارة برامج تخص تكوين المكونين، وأحدثت المراكز والهيئات لاستقبال رجال التربية والتعليم، وهذا كله بهدف توسيـع وتجديد معلومـات المربين، وتدريبهم على استخدام التكنولوجيا في العملية التعليمية.

٨) مقدمة ابن خلدون.
٩) مقدمة ابن خلدون.

ب- تقديمه المسائل العلمية موجزا أمام الطلّاب:

دعا ابن خلدون المربين إلى عدم الاستكثارمن العلوم الآلية التي لا ينبغي أن توسع فيها الأنظار ولاتوسع فيها المسائل منها على سبيل المثال لا الحصر علم النحو، وبررذلك بأن التعمق والاستكثار من مسائله المقفلة سيخرجها عن المقصود، ويصير الاشتغال بها لغوا، خاصة كما نعلم أن للنحو العربي أنحاء ومدارس مختلفة، وأن الهدف الأسمى منه هو معرفة صواب الكلام من أخطائه، وإصلاح الألسنة من اللحن أو اللكنة. وهو في هذا المذهب ينحو نحو الجاحظ "ت ٢٥٥هـ"الذي دعا إلى ضرورة تعليم النحو الوظيفي الذي يجري في المعاملات، والتمييز بين النحو كعلم والنحو كتعليم، تضمن ذلك قوله: "وأما النحو فلا تشغل قلبه أي قلب الصبي منه إلا بقدر ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن، ومن مقدار جهل العوام في كتاب إن كتبه، وشيء إن وصفه، وما زاد على ذلك فهو مشغلة عما هو أولى به"[١٠]، وعليه فإن الاشتغال والإكثار من المسائل، يصير في رأيه من باب اللغو، جاء ذلك في قوله:"... وهذا كما فعله المتأخر ون في صناعة النحو... لأنهم أوسعوا دائرة الكلام فيها نقلا واستدلالا، وأكثروا من التفاريع والمسائل بما أخرجها عن كونها آلة وصيرها مقصودة لذاتها. وربما من نوع اللغو، وهي مضرة أيضا بالمتعلمين على الإطلاق[١١] "يقع فيها لذلك أنظار ومسائل لاحاجة بها في العلوم المقصودة بالذات فتكون لأجل ذلك، كما نبه ابن خلدون أيضا إلى أن الاختصار المخل سيحدث لا محالة ضررا في إيصال المعاني، والإكثار منها في العلوم يخل بالتعليم: "ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق والأنحاء في العلوم يولعون بها ويدونون منها برنامجا مختصرا في كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصار في الألفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن وصار ذلك مخلا بالبلاغة وعسيرا على الفهم".[١٢]

١٠) الجاحظ، رسائله تحقيق عبد السلام هارون مكتبة الخانجي .
١١) مقدمة، ص ٧٠٠.
١٢) مقدمة،ص ٥٨٨.

ج - استمراره ومتابعته في تلقين العلم وعدم خلطه بين الفنون:

يقول ابن خلدون إنّه لا يجوز الانتقال من مسألة علمية إلى مسألة أخرى قبل فهم المتعلم للمسألة الأولى، ولذا يجب عليه الاستمرار في تلقين المسألة الواحدة إلى أن ينتهي منها، ويتحقق أن المتعلم قد استوعبها وأتقنها، ويحذر من انقطاع المجالس والتفريق فيما بينها، لأن ذلك يؤدي إلى النسيان أوّلا، ويؤول إلى عدم تعلق المسائل بعضها ببعض ثانيا، جاء ذلك في قوله: "وكذلك ينبغي لك أن لا تطول على المتعلم في الفن الواحد بتفريق المجالس وتقطيع ما بينها لأنه ذريعة إلى النسيان وانقطاع مسائل الفن بعضها من بعض"[١٣]. كما نبه إلى عدم الخلط بين المسائل، في قوله"ومن المذاهب الجميلة والطرق الواجبة في التعليم أن لا يخلط على المتعلم علمان معا، فإنها حينئذ قل أن يظفر بواحد منهما، لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منهما ". وهو بهذا يؤكد على الجانب المنهجي في طريقة التلقين، بعدم الخلط بين علمين، لأن ذلك من شأنه يؤدي إلى خيبة الأمل لدى المتعلم، حيث يصرف باله، ويضعف ملكته في النفس أو يؤخرها على الأقل، لانصراف الذهن، مما ينبغي الاهتمام بمسائل العلم المولدة للملكة العلمية [١٤] وعدم الخلط بينها.

د- مراعاة الفروق الفردية بين التلامذة :

يدعو ابن خلدون من خلال آرائه التربوية الحديثة إلى الإقرار بمراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين، فالعوامل النفسية والبيئية والجسمية تؤدي دورا أساسيا في تحديد حجم التعلم، بحيث يتفاوت ذلك الحجم بين فرد وآخر، فالأفراد يختلفون في درجة الذكاء والحفظ وفي قدرة الاستيعاب "وهوكما رأيت إنما يحصل في ثلاث تكرارات وقد يحصل للبعض في أقل من ذلك بحسب ما يخلق له ويتيسر عليه".[١٥] ومراعاة هذا المبدأ المهمّ أكّده العلم اللساني الحديث، ذلك أن الأنام لا يتكلمون على منوال واحد، بل تجدهم، حتى في حالة انتمائهم إلى المحيط الاجتماعي نفسه،

[١٣]) مقدمة ابن خلدون
[١٤]) محمد فاروق النبهان، الفكر الخلدوني من خلال المقدمة .
[١٥]) مقدمة ص:٥٨٩

يختلفون في سرعة السرد، ويتفاوتون في رصيدهم من المفردات ويتمايزون من حيث الصوت، ومن جملة تلك الفروق، ما يلاحظ لدى الناس من أن لكل واحد منهم أسلوبا ينفرد به في الإنشاء الأدبي، وفي سرعة تحصيل العلم والمعرفة. ومن هنا طولب القائمون على عملية التعلم ابتداء من الأنبياء إلى الأساتذة والمربين بأن يخاطبوا الناس على قدرعقولهم ومستواهم العلمي.

هـ) الحثّ على الممارسة والتكرار في عرض المادة:

يدّعي ابن خلدون أن الطريقة الناجحة في تلقين العلوم إنما يكون- كما يقول-" مفيدا إذا كان على التدريج شيئا فشيئا وقليلا قليلا يلقى على التلامذة أوّلا مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب ويقرب لهم في شرحها على سبيل الإجمال ويراعى في ذلك قوة عقلهم واستعدادهم لقبول ما يرد عليهم حتى ينتهي إلى آخر الفن وعند ذلك يحصل لهم ملكة في ذلك العلم. فيجب على المعلم أن يذكر للمتعلمين ما يستطيع تحملهم، مراعيا قدراتهم واستعداداتهم على تلقي تلك المادة العلمية، وأن يبتعد عن التعقيد ويتقيد بالتدرج في عرض أية مسألة علمية، باعتبارتدرج أحد المبادئ المساهمة في نجاح العملية التعليمية، ويكون ذلك ببدء المعلم بالشيء الواضح من العلم قبل الغامض، وبالبسيط قبل المعقد، وبالجزء قبل الكلّ، وبالعمليّ قبل النظريّ، وبالمحسوس قبل المجرّد، فلا يبدأ بالعويص من المسائل فيغرقون في أمور لا يحتملونها، فيؤدي بهم إلى الفشل، كما ينبغي على المعلّم الاستيفاء بالشرح والبيان، ولا يترك عويصا ولامبهما ولا مغلقا إلا وضحه، وهذا في رأي العلامة ابن خلدون وجه التعليم المفيد والصحيح، ولن يكون مثمرا إلا من خلال التكرار .فالتكرار إذن مبدأ ضروري لتكوين الملكة، لكونه عاملا أساسيا لتحقيق عملية التعلم، ذلك أن الملكة لاتحصل إلا بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتفطن لخواص تركيبه. وكثرة التكرار تؤدي إلى الحفظ الذي يزيد صاحب الملكة قوة ورسوخا، ولا يحصل ذلك إلا بعد فهم كلام العرب جيّدا .

ثانيا : شروط المتعلّم عند ابن خلدون:

ا) الإصغاء أي الاستماع: إن المتعلم مطالب في بداية تعلّمه بالإصغاء لمعلّمه واستيعاب العلوم المختلفة عنه قبل أن يتطرق للاختلافات من المذاهب، ذلك أن السمع أو الإنصات هو أبو الملكات اللسانية في نظر "ابن خلدون"، فالشيء الذي يعين المتعلم على فتق لسانه بالمحاورة والكلام والمناظرة، هو الانغماس الكلي في وسط لغوي عفوي، إذ يسمع ثم يقلد أو يردد ما يسمعه، وهذا ما طرقه" ابن خلدون" في معرض تفسيره لقول العامة أن اللغة للعرب بالطبع، حيث يقول: "فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم في مخاطباتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها...ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم، يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة و صفة راسخة ويكون كأحدهم"[١٦] . فالتعليم في الصغر أشد رسوخا وهو أصل لما بعده، لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات وعلى حسب الأساس يكون حال من ينبني عليه.

وقد أكد علم اللسان التربوي الحديث على ضرورة الاهتمام بملكة السمع باعتبارها الحاسة الأولى المساهمة في عملية التعلم، وهو من المبادئ اللسانية التربوية التي أقرها، ويسمى عند جمهور اللسانيين التطبيقيين "الحمام اللغوي أوالانغماس اللغوي bainlinguistique، وهي تأتي في المرتبة الأولى، ذلك أن الإنسان يسمع قبل أن يتكلم. وهذه الملكة تحصل في رأي ابن خلدون بممارسة كلام العرب وتركه على السمع والتفطن لخواص تراكيبه وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية في ذلك. والظاهر لنا جليا أن الرجل قد أعطى السمع الأولوية في امتلاك ناصية العلم، معتبرا إياه أبا لجميع الملكات، ذلك:"إن الطبيعة وهبت الإنسان لسانا واحدا، ولكنها وهبته أذنين والحكمة في ذلك هي أن يسمع ضعف ما يتكلم " ونجد "ل. بلومفيلد" يشارك ابن خلدون في إعطاء ملكة السمع درجة من الأهمية، حيث استغل

١٦) المقدّمة، ج:٢، الدار التونسية للنشر.

المنهجية السمعية الشفهية في تحليله التوزيعي للغة وفق المحورين الصرفي والتركيبي، إذ من خصائص هذه المنهجية الاهتمام البالغ بالمسموع والمنطوق قبل المقروء والمكتوب ومن ثمة العمل على تنمية اللغة الشفهية.

ب)الاستعداد الكامل:

وعلى المتعلم أن يستعدّ للتعلم وأن يتفرغ له، وأن يبتعد عن إغراءات الدنيا وشهواتها: "فإن قبول العلم والاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجا ويكون المتعلم أول الأمر عاجزا عن الفهم بالجملة إلا في الأقل وعلى سبيل التقريب والإجمال والأمثال الحسية ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلا قليلا"[١٧] ولن يتأتى ذلك إلا بإقامة علاقة عاطفية بين المعلم والمتعلم، والتدرج بالمتعلم مع تشويقه للمادة المراد تلقينها، وهذا بعد دراسة نفسيته واستعداداته العقلية " واعلم أيها المتعلم أني أتحفك بفائدة في تعلمك فإن تلقيتها بالقبول وأمسكتها بيد الصناعة ظفرت بكنز عظيم وذخيرة شريفة وأقدم لك مقدمة تعينك في فهمها وذلك أن الفكر الإنساني طبيعة مخصوصة فطرها الله كما فطر سائر مبتدعاته وهو وجدان حركة للنفس في البطن الأوسط من الدماغ....ثم الصناعة المنطقية هي كيفية فعل هذه الطبيعة الفكرية النظرية تصفه لتعلم سداده من خطئه[١٨] "ونبّه ابن خلدون المتعلمين إلى ضرورة التحلي بالمنطق والاستمطار برحمة الله متى أقفلت وأعوز عليهم فهم المسائل ، فإنّ العلم من الله تبارك وتعالى يؤتيه من يشاء من عباده .

ج- ملازمة الشيوخ والرحلة في طلب العلم:

ومما لا يشكّ فيه اثنان أنّ ترسيخ ملكة العلم يكون بملازمة أصحاب العلم، وذلك أن طرائق شيوخ العلم متعددة، فلكل طريقته الخاصة في تلقين العلوم وتعليمها، فعلى المتعلم الذي يريد الاستزادة من العلم وتقوية ملكته: أن يلازم شيوخه، والرحلة للقائهم إن اقتضى الأمر"فعلى قدر كثرة الشيوخ، يكثر حصول الملكات ورسوخها.

١٧) المقدّمة ص: ٥٨٩.
١٨) المقدمة ص٥٩١.

ولقاء أهل العلوم وتعدّد المشائخ يفيد التعرف على الاصطلاحات المختلفة المتنوّعة، كما في تعدد المشائخ معونة على اختيار أسلوب متأثّرلائق به من الأساليب المختلفة.

وأما الرحلة في طلب العلم قد أشار النبي ﷺ صراحة في معنى قوله، أنه من سلك طريقا يطلب فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم. وبالجملة نمكن أن نقول إن العلامة "ابن خلدون" يعد بحق موسوعة علمية تناولت شتى حقول المعرفة العلمية. فأفكاره التربوية لاتقل أهمية عما تذهب إليه اللسانيات التربوية الحديثة، بل يمكننا القول أن له فضل السبق إلى كثير منها، وبخاصة ما تعلق بطريقة التدريس، من التي نبّه فيها المعلّمَ إلى ضرورة توخي التدرج والتكرار في عرض المادة العلمية، والتحلي بمبدأ التشويق، مع مراعاة استعدادات المتعلمين، والأخذ بعين الاعتبار الفروق الفردية بين المتعلمين في أثناء تلقين العلوم. ولذا يكون من الحسن بل من الأحسن وصفه بالباحث اللساني السابق لعصره، فقد تنبه إلى عديد من الأفكار اللسانية التربوية التي يدعو إليها علم اللسان التربوي الحديث، وبخاصة ما تعلق بالشروط الواجب توفرها في المعلّم والمتعلم .